رؤية قد تبدو مخالفة لما يراه المسئولون

احذورا التحصين ضد عترات إنفلونزا الطيور منخفضة الضراوة

ما جرى فى عام ٢٠٠٦

وما بعده.. ترتب عليه عشوائية التحصين.. والسماح باحتكار اللقاح لصالح بعض المحظوظين.. ما أدى إلى توطن المرض فى مصر

د. مصطفى فايز

فى فبراير ٢٠٠٦ ومع الإقرار الرسمى بظهور فيروس إنفلونزا الطيور (H5N1) شديد الضراوة فى مزارع الدواجن والتربية المنزلية، اتخذت الجهات المعنية وقتها قرارًا عشوائيًا بالتحصين ضد الفيروس، وذلك قبل عمل المسح الميدانى الشامل لجميع أنحاء الجمهورية ومن ثم وضع خطة واضحة للتحصين وأهدافه.

ثم أقرت تلك الجهات لقاحًا واحدًا (صينى المنشأ) وقصرت حق الاستيراد على الشركة الخاصة التى تمثل وكيل الشركة الصينية فى مصر، وهو ما ترتب عليه ممارسة عشوائية للتحصين ما زالت مستمرة حتى اليوم، وكذلك السماح باستغلال مربى الدواجن ببيع اللقاح الذى احتكر السوق بعشرة أضعاف ثمنه فى السوق العالمية.

فضلا عن غياب سياسة التعويضات وغيرها من الأخطاء، وهو ما أدى لتوطن المرض فى مصر، فمن بين ٦٢ دولة ظهر فيها المرض توطن فى ست دول، ومصر هى الدولة الأفريقية الوحيدة بينها، بسبب قصور إدارة الأزمة الذى حقق فيه الجهاز المركزي للمحاسبات بعد الثورة.

واليوم بعد أن قدم على صناعة الدواجن المصرية ضيف ثقيل جديد هو فيروس إنفلونزا الطيور من عترة (H9N2) منخفضة الضراوة وقامت بعض الجهات البحثية بعزله من مزارع الدواجن فى جهود فردية محمودة لتلك الجهات، نخشى أن يتكرر سيناريو ٢٠٠٦ نفسه بكل تفاصيله، خاصة بعد ظهور لقاح ضد المرض وتداوله فى السوق المصرية بسعر مرتفع يبلغ ضعف سعر السوق العالمى، والشروع فى تحصين عشوائى جديد دون سياسة واضحة للسيطرة على المرض. ومكمن الخطر فى حالة العترة الجديدة توطن الفيروس كما حدث فى حالة الفيروس (H5N1) والفشل فى السيطرة عليه، وهو ما يؤثر سلبًا على الثروة الداجنة.

يتضاعف قلقنا حين نعرف أن فكرة التحصين ضد فيروس (H9N2) نفسها موضع جدل علمى كبير، وذلك لما يؤدى إليه

التحصين ضد العترة منخفضة الضراوة من خطر التحور السريع للفيروس وما يشكل من خطر على عديد من الدواجن.

واحتمالات المخاطر على صحة الإنسان بسبب الاستخدام المكثف للقاحات هو ما يدفعنا للتساؤل عن كيفية اختيار اللقاح المناسب للتحصين فى مصر، فلا يكفى أن نعزل الفيروس ولكن ينبغى القيام بمسح ميدانى شامل للوقوف على المجموعات المنتشرة لدينا ومن ثم اختيار عترة اللقاح المؤثرة، وقد يفسر هذا فشل اللقاح المتداول فى مصر فى صد الإصابات الحقلية كما أقر بعض المربين. ومن المعروف أن الفزع العالمى هو بداية انتقال إنفلونزا الطيور من إنسان لآخر ما يهدد بوباء عالمى.

زيادة مقاومة الفيروس للعقارات المضادة للفيروسات مثل التاميفلو وغيره، ما يعنى عدم فاعلية هذه العقارات فى علاج المصابين من البشر.

وجدير بالذكر أن هذه الدراسة أجريت على الفيروسات الموجودة فى الشرق الأوسط فى عام ٢٠١٠م.

البحث الثالث الذى يهمنا فى هذا المجال هو البحث المنشور بعنوان: اقتراب التكوين الجزيئى لفيروس (H9N2) من قابلية الانتقال بالرذاذ بين البشر أحد المخاوف الكبيرة عالميًا والتى تهدد بحدوث موجة وبائية من إنفلونزا الطيور بين البشر. ومن مجمل هذه الأبحاث نخرج بعدة أسئلة نوجهها لصانعى القرار فى وزارتى الصحة والزراعة بمصر، وهى: هل وضعت اللجان والكوادر العلمية هذه المعلومات أمام صانع القرار ليتخذ قراره على ضوئها؟ فلو كانت الإجابة بنعم: ما هو العائد من تحصين قطعان الدواجن ضد فيروس منخفض الضراوة مقابل تلك المخاطر على صحة البشر؟ ولو كانت الإجابة بلا: فمن يتحمل مسئولية هذا التقصير؟ هل أفدنا من تجارب الدول المحيطة بنا مع المرض ومنها السعودية والأردن وفلسطين المحتلة؟ والتى أدى التحصين فيها إلى توطن المرض فى صناعة الدواجن؟ وهل تحتمل صناعة الدواجن المصرية توطن فيروس جديد فضلا عن فيروس (H5N1) الذى توطن بالفعل؟ وما مبرر قرار التحصين الجزئى لبعض مزارع الدواجن؟ تحديدًا تحصين قطعان الجدود والأمهات والبياض وبعض مزارع التسمين، مع العلم بعدم وجود تمييز جغرافى بين هذه القطعان؟ هل درسنا الاحتمالات البديلة للتحصين؟ فلو علمنا أن الفيروس منخفض الضراوة تكمن خطورته فى أنه يضعف الجهاز المناعى للطائر ويزيد من قابلية الإصابة بفيروسات أخرى مثل الالتهاب الشعبى المعدى والنيوكاسل، ألم يكن الأجدى عدم تحصين القطعان ضد (H9N2) والتركيز على حمايتها ضد الأمراض التنفسية الأخرى والتى تطبق لقاحاتها بالفعل فى الصناعة المصرية؟

الفيروس منخفض الضراوة تكمن خطورته فقط فى إضعاف الجهاز المناعى للطائر.. والأجدى عدم التحصين ومعالجة الأمراض المناعية الأخرى

وختامًا، نرجو أن يتسع صدر السادة المسئولين بوزارة الزراعة والصحة لهذه الرؤية المغايرة للقرارات الصادرة من قبلهم؛ لأن الصالح العام هو الهدف فى النهاية؛ وكى لا ندخل فى حلقة مفرغة من العناد كتلك التى ندخلها كل مرة ثم نندم حيث لا ينفع الندم.